المعركة الأخيرة

حرب الأقمار ٢

محمود سالم

المعركة الأخيرة (حرب الأقمار ٢)

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

المعركة الأخيرة (حرب الأقمار ٢)

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٣٠٢٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
لماذا زيورخ؟	١١
كلب المنظمة!	١٧
الدخول إلى المجهول!	٢٣
اختطاف الهليكوبتر!	٢٩
رقم «صفر» مرة أخرى!	٣٥
المعركة الأخيرة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

لماذا زيورخ؟

في كافيتريا فندق «الأمباسادور» ... جلس الأصدقاء «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» و«ريما» يتناولون عشاءهم ... بعيدًا عن برودة الجو خارج الفندق ... وبعيدًا أيضًا عن عيون «سوبتك» ... وما زالت عملية «حرب الأقمار» تشغل بالهم وتستحوذ على جل تفكيرهم، وضحك «عثمان» وهو يقول لهم: لقد قمنا بعملية كاملة ... لكي نصل إلى أرض العملية الأصلية.

وعلَّقَت «ريما» ضاحكة بقولها: نحمد الله أن هذا لم يحدث مع رحلتنا من «جينيف» إلى «زيورخ».

كان «أحمد» شاردًا بعيدًا ... عندما سألته «إلهام» عن رأيه في قرار الحضور إلى «زيورخ»: أليست العملية الأصلية في «أنماس»؟!

هكذا قالت «إلهام» له ... وعندما لم يُجب لجأت إلى حيلة شقية كي تخرجه من شروده، فاتصلت به على ساعة يده ... وعندما شعر بالوخز ونظر إلى شاشة الساعة ... الْتفتَ إليها باسمًا ... فبادرته قائلة: أين كنت؟

فقال لها متسائلًا: هل لديكِ تفسير لمغادرتنا «جينيف» وحضورنا إلى «زيورخ»؟

اندهشت «إلهام» وقالت له: لقد كنت أسألك نفس السؤال ... ولكن ألم يكُن هذا قرارك؟!

أحمد: لا بل قرار رقم «صفر».

هنا ... وهنا فقط ... تدخَّل «عثمان» قائلًا: قد يكون الطريق إلى قرية «أنماس» مغلقًا في «جينيف» ... وسنذهب إليها عن طريق «زيورخ»!

أثار هذا التفسير حنَق «ريما» فاندفعت تقول له: أتذهب إلى قرية على الحدود الفرنسية من مدينة على الحدود الألمانية يا «عثمان»؟!

ابتسم «أحمد» وقال لها: ليست هذه المرة الأولى التي يأتي فيها «عثمان» إلى «زيورخ» يا «ريما» ويسافر منها إلى «ألمانيا» إنه يقول هذا ليثيرك.

تدخَّلَت «إلهام» تُبرِّر ما قالته «ريما» قائلة: إنها متوترة يا «أحمد» ... فالغموض حتى الآن يحيط بكل ما نقابله من أحداث وما نتلقاه من أوامر.

وكان هذا ضوءًا أخضر لتطرح «ريما» كلَّ ما يدور في ذهنها ... فقالت: هل يمكنكم تفسير ما حدث للطائرة التي أقلتنا إلى «جينيف» ... وكيف عرف هذا اللواء المدعو «زائيفي» بأننا فيها؟!

وهل يمكنكم تفسير طلب رقم «صفر» منا أن نذهب إلى «زيورخ» رغم أن الهدف المطلوب التصدي له موجود في «أنماس»؟!

وقبل أن تشرع في طرح بقية أسئلتها ... لحقها «أحمد» قائلًا: أولًا «زائيفي» الآن عضو في جماعة «سوبتك» ... وتعرفون أن لها مصالح كثيرةً في المنطقة العربية.

وتدخَّلَت «إلهام» تكمل قائلة: ولسابق خبرتها معنا ... فهي لا يمكنها التحرك في المنطقة بحرية ما دُمنا موجودين فيها.

فقال «أحمد»: ولا تنسوا أن لهم عندنا أكثر من ثأر ... ولكل ذلك فقد اتخذوا القرار بالتخلص منا وتعريض المنطقة لأخطار التسرب الإشعاعي ... وهم يعلمون أن هذا سيثيرنا وسيدفعنا للذهاب إليهم ومواجهتهم ... وهذا يعني أن لهم أكثر من خطة لنا.

وكانت أول خطة هي إسقاط الطائرة.

ريما: والثانية مواجهتنا في «سويسرا».

إلهام: والثالثة شغلنا بأكثر من عملية هنا ليتحركوا هم بحرية هناك.

ران الصمت على الجميع ... وأطالوا النظر لـ «إلهام» للحظات، قطعه «أحمد» قائلًا: لا تنسوا أن لنا هناك زملاء لا يقلون عنا مهارة وجسارة ... وستكون فرصة لهم لمواجهتهم هناك.

مرَّة أخرى اتصل رقم «صفر» وكانت فرصة لهم لسؤاله عن سبب حضورهم إلى «زيورخ» فقال لهم: أولًا: أنتم في حاجة للراحة بعد ما لاقيتموه في الطائرة ... حتى تستعيدوا لياقتكم البدنية والنفسية والعقلية ... وهم كانوا ينوون اصطيادكم وأنتم منهكون.

الأمر الآخَر ... هو أنكم كنتم صيدًا سهلًا لأنهم يرونكم وأنتم لا ترونهم ... فهم يعرفون ميعاد الطائرة، ويعرفون أنكم فيها وسيمكنهم مراقبتكم بيُسر والإيقاع بكم مبكرًا ... لذلك كان قرار سفركم إلى «زيورخ» في ظروف غامضة وبوسائل مضلِّلة هو الحل الأمثل.

ابتسم الشياطين إعجابًا بزعيمهم ... وكانوا أكثر شغفًا وإنصاتًا له عندما أكمل قائلًا: الآن أنتم بعيدون عن أعينهم ... وهم في حيرة من أمرهم ... يتخبَّطون في تحركاتهم ... يتضاربون في قراراتهم ... وسيظلون هكذا لأنهم لا يعرفون أين أنتم ... وعليهم أن يبحثوا في كل «سويسرا» وعلينا اصطيادهم.

ولأن ما قاله رقم «صفر» يعني أن عليهم السكون لفترة ... فقد آثَرَت «إلهام» أن يقوموا بزيارة لـ «ألمانيا» وعندما سألها رقم «صفر» عن السبب قالت له: تعرف يا زعيم أننا كائنات متحركة يقتلها السكون.

ضحك رقم «صفر» لهذا التعبير البليغ، وقال لها: لكم ما شئتم على أن تعودوا خلال ثمانٍ وأربعين ساعة.

أحمد: ولماذا ثمانٍ وأربعون ساعة يا زعيم؟!

رقم «صفر»: لأنكم بعدها ستعودون إلى «أنماس» ... سأنتظر اتصالكم من «ألمانيا» ... رحلة سعيدة!

كانت الرحلة إلى «ألمانيا» عبر «زيورخ» كعادتها رائعة ... وكان الهدف هو ولاية «بادن» لأنها الأقرب لهم الآن ... فهي تقع على الحدود السويسرية ... وأيضًا لأن لهم فيها مقرًّا محبوبًا في «هايدلبرج» ... تلك الفيلَّا الساحرة التي تطل على نهر «النيكر» ... تحيطها الأشجار كثيفة الخضرة من كل جانب.

وقد آثروا النزول من السيارة قبل أن يَصِلوا إليها بمسافة كافية؛ لأن هذا السائق الألماني لا يعرف موقعها ... فهم لا يعرفونه؛ لأنه ليس من أعوان المنظمة ... بل هو سائق لسيارة استأجروها للوصول إلى المقر ... وقد استمتعوا بالسير فوق المرتفع المطل على نهر «النيكر» الذي يقطع ولاية «بادن» وتطل عليه «هايدلبرج» تلك المدينة التاريخية التي تقع بها قلعة الصناعة الألمانية «شتوتجارت» التي تنتج مصانعها — «دايملر، بتر، بوش، بورش» — أعرق السيارات وأفخمها وقبل أن يَصِلوا إلى بوابة فيلَّا المقر بخطوات ... عَبَرَت بجوارهم السيارة التي غادروها منذ دقائق ومن نافذتها رأوا السائق يرفع يده يحييهم.

أثار هذا الموقف دهشتهم ... فأين كان هذا السائق كل هذا الوقت ... هل كان يسير خلفهم ويراقبهم عن بُعد؟!

لم يشغلهم الموقف كثيرًا ... فقد آثروا أن يستثمروا الساعات القليلة التي منحها المبنى الرئيسي لهم ... وقبل أن يضع «أحمد» بطاقته الأمنية في فتحة التحكم انفتح الباب ... ومن خلفه رأوا كلبًا ضخمًا يُزمجر ولم يروا غير ذلك ... فهل يعمل هذا الكلب في المنظمة وهل

يعرفهم؟ وهل سيسمح لهم بالدخول؟ وهل هو وحده في الفيلَّا ... أم هناك موظفون؟ قالت «إلهام» في دهشة: المفروض أن المقر به الكثير من الموظفين ... نعم هناك مَن يغادره بعد انتهاء فترة العمل ... ولكن هناك مَن يبيتون به.

فعلَّقت «ريما» قائلة: لم يحدث يومًا أن وجدنا المقر بلا موظفين.

غير أن «عثمان» لم يرتح لِمَا يدور، وقال لهم: يا سادة اتخذوا قرارًا الآن ... هل نجري من هذا الكلب ... أم ندخل وأكون أنا آخِرُكم.

ورغم زمجرة الكلب المخيفة ... ضحكت «ريما» وابتسم «أحمد» وهو يقول متسائلًا: كيف فتح هذا الكلب الباب؟!

ومن جهاز معلَّق بجوار الباب سمعوا من يقول لهم: لماذا لم تدخلوا حتى الآن.

تبادل الشياطين نظرات متسائلة قبل أن يقرروا الدخول رغم بقاء هذا الكلب مكانه دون حركة.

وكانت «إلهام» في مقدمة الداخلين ومن خلفها «ريما» وتبعهم «عثمان» في ثقة بالغة ليس لأنه يثق في الكلب ... بل لأن «أحمد» كان مصوبًا مسدسه إلى رأس الكلب ... وقد دخلوا جميعًا في حمايته.

وبعدما استقروا جميعًا في مقاعدهم ... طاف عليهم هذا الكلب يحييهم واحدًا بعد الآخر ويستمتع بربت أصابعهم على رأسه ... وتسللها بحنان بين ثنايا شعره لتدغدغ حواسه.

ولم تُعجب «أحمد» طريقة الاستقبال ... فرفع صوته يقول لَمن يسمعه: ليست هذه هي الطريقة الجيدة لاستقبال الشياطين ... فأنا لا أرى سببًا لمداعبتنا على هذا النحو.

فرد عليه مَن يسمعه قائلًا: ولكني أرى سببًا لهذا!

تصايح الشياطين في سعادة فقد عرفوا صاحب الصوت ... إنه رقم «صفر» ... وبالطبع هي مفاجأة سارة لهم للغاية وبالذات لـ «ريما» التي صاحت تقول في بهجة: الزعيم هنا ... أليس كذلك ... أقسمُ إنه الزعيم!

وفي وقار ضحك رقم «صفر» وقال: نعم ... هو أنا يا «ريما»: هل أنت سعيدة حقًّا؟!

فأسرعت «ريما» تؤكد ذلك قائلة في حماس: نعم بالطبع يا زعيم ... ولست وحدي بل كلنا.

رقم «صفر»: رغم علمكم بأن مجيئي يعني بدء العملية الجديدة وقطع ساعات الراحة والمتعة؟

وكان المتحدث هذه المرة «أحمد» الذي قال يؤكد ما قالته «ريما»: نحن لم نخرج للراحة إلا بناءً على طلبكم يا زعيم ... ويسعدنا أن نعود للعمل، ومن هذه الجملة انطلق رقم «صفر» يحدثهم في صميم العملية قائلًا:

أولًا: كان من المهم أن ألقاكم بعد نهاية العملية الأخيرة «حرب الأقمار» بنجاح يُهنئِّكم الجميع عليه.

ثانيًا: الحرب مع «سوبتك» الآن أصبحت حربًا مع «زائيفي»، ذلك اللواء المارق، فبينه وبينهم اتفاق تعرفونه — وهو يتخلص منكم ... وهم يدفعون له.

ثالثًا: «زائيفي» كان ضابطًا بالجيش وله معارف كثيرون ... وله اتصالات أكثر وهو بعد أن فقدكم أخيرًا ... باستطاعتكم الخروج من الطائرة والهروب من مراقبتهم لن يبحث عنكم في «سويسرا» فقط ... بل سيوسع دائرة البحث لتمتد إلى دول مجاورة كـ «ألمانيا» و«فرنسا» ... أقصد الدول التي تشترك مع «سويسرا» في الحدود ... وأنا أعتقد أن السائق الذي استعنتم بسيارته للوصول إلى هنا له صلة بـ «زائيفي» والقضية الآن هي أنهم لا يجب أن يعرفوا شيئًا عن هذا المقر ... هذا أولًا ... وثانيًا يجب ألا يحصلوا عليكم بسهولة.

واندفع «أحمد» يقول له: إذَن نعود الليلة إلى «سويسرا».

رقم «صفر»: ليس هذا هو الحل، فكل الطرق الآن مراقبة ... نحن فقط سوف ننقلكم إلى مقر آخَر ... وهذا لا يعني إطالة فترة السكون ... لا بل سنبدأ العمل من هناك ... عنوان المقر الآخَر مُسجَّل على ذاكرة كمبيوتر السيارة التي ستقلكم إلى هناك، السيارة موجودة في جراج المقر ... ما عليكم إلا ركوبها وهي ستكمل الباقي ... سألقاكم قريبًا ... وستجدونني في كل مكان لنا فيه عمل ... وفقكم الله!

كانت هذه إشارة لأن يبدءوا التحرك فورًا ... وكانت «ريما» أول المغادرين للمقر وتبعها بقية الشياطين ومن خلفهم وقف الكلب المضيف بالباب ... لا هو خرج وراءهم ولا سمح لهم بإغلاق الباب خلفهم ... وعندما هَمَّ «أحمد» بدفعه إلى الداخل لإغلاق الباب ... سمع صوتًا يقول له: دعه يا «أحمد» ... فهو يعرف ما يفعله!

عاد «أحمد» إلى زملائه وكانوا ينتظرونه في السيارة فنظر لهم وفي عينَيه تعبير أثار ضحكهم، وجلس خلف عجلة القيادة وهو يقول بأسًى مصطنع: كان يودعني!

ضحك الأصدقاء ... وعاد «أحمد» يُعلِّق على هذا الموقف الطريف قائلًا: هل نظرتم في عينيه؟ هل رأيتم تأثره؟

ضحكت «ريما» ومن خلال ضحكاتها قالت له: هل هو عضو جديد بالمنظمة؟!

كلب المنظمة!

عندما أدار «أحمد» كمبيوتر السيارة ... كان مُجهَّزًا لإدارة برنامج المسح الراداري ... الذي انتقل تلقائيًّا إلى خريطة ولاية «بادن» وظهرت على الطرق أسهم تنبض في اتجاه المقر الجديد منطلقة من المقر الذي غادروه منذ دقائق، ولم يكُن عليه إلا أن يتبع هذه الأسهم وهو يقول: خطير هو العلم ... وخطيرة تطبيقاته!

فعلَّقَت «ريما» تقول: أنا أعرف أن الأقمار الصناعية الآن أصبحت مرشدًا لقائدي السيارات عن طريق المسح الراداري للطرق وبث إرشادات للسائقين عن أقصر الطرق الخالية الموصلة إلى الموقع الذي ينشدونه.

وهنا علَّق «عثمان» قائلًا: ولكن ما نراجع على الخريطة الآن لا يبثه قمر صناعي ... إنها خريطة مسجلة على ذاكرة الكمبيوتر.

فبرَّر «أحمد» ذلك قائلًا: لن نستطيع الاستعانة بأي بث موجي معبر حتى ننتهي من هذه العملية ... فـ «زائيفي» يستعين بتقنيات غاية في التقدم في هذا المجال ... ولن نسمح له بالوصول لنا من هذا الطريق.

كان الضباب الكثيف يغطِّي الطريق وكانت طبقة من الجليد الأبيض الخفيف تغطي الأعشاب الخضراء المنتشرة على جانبيه.

وعلَّقَت «إلهام» قائلة: الشتاء سيكون قارسًا هذا العام.

فقال «عثمان» ضاحكًا: وكل عام يا «إلهام» ... لم نأتِ شتاء إلى «ألمانيا» إلا وعانينا من برودة الجو الشديدة.

تدخَّلَت «ريما» قائلة: «إلهام» تقصد أن علينا أن ننتهي من هذه العملية قريبًا حتى لا نعاني كما قلت!

ضحك «أحمد» وقال مداعبًا «ريما»: ومَن قال لكِ إني سأغادر «ألمانيا» بعد انتهاء العملية؟!

اندهشت «إلهام» لما سمعته ... وقالت تسأله: ولماذا ستبقى هنا؟

أحمد: لأزور العاصمة «شتوتجارت» ...

قطع كلامهم فجأة «عثمان» وهو يصيح قائلًا: لقد رأيت الكلب في سيارة مُسرعة مرَّت في الاتجاه المعاكس.

أحمد: أي كلب؟

عثمان: عضو المنظمة الذي ودَّعَنا منذ دقائق.

انحرف «أحمد» بالسيارة إلى أقصى اليمين فسألته «إلهام» قائلة: لماذا ستتوقف؟!

أحمد: لن أتوقف ... سأدور عائدًا.

إلهام: لماذا؟!

أحمد: لنعرف قصة هذا الكلب ... فأنا أشعر أننا تعرضنا لخدعة.

عثمان: أية خدعة؟

أحمد: أشعر أن هذا الكلب ليس عضوًا في المنظمة وأن مَن حادثنا ليس هو رقم «صفر».

ريما: ألا تعرف صوت رقم «صفر» يا «أحمد»؟

أحمد: يا «ريما» ... تقليد الصوت لم يعُد مشكلة ... إنها خدعة يقوم بها أحد برامج الكمبيوتر بإكساب ذبذبات صوتٍ ما نفس سرعة ذبذبات صوت شخص آخَر.

دار «أحمد» بالسيارة إلى الاتجاه المضاد ... وأطلق العنان للسيارة وهو يسأل «عثمان» قائلًا: هل رأيت السيارة جيدًا يا «عثمان»؟

عثمان: نعم إنها سيارة «مرسيدس» ذات دفع رباعي سوداء.

أحمد: أي تشبه سيارتنا؟

عثمان: تمامًا!

أحمد: إذَن سأحصل عليها!

إلهام: وإن لم نصِل لها؟

أحمد: سأعود إلى المقر.

انحرف «أحمد» يسارًا ليتفادى سيارة قابلته ... ثم انحرف يمينًا ليتفادى سيارة أخرى ثم أطلق ضوءًا متقطعًا من كشافات السيارة الأمامية لتسمح له السيارة السائرة أمامه بالمرور ... فهي تسد عليه الطريق ... لكن سائقها لم يلتفت لرغبة «أحمد» ... وظل

سائرًا في طريقه غير عابئ ... وهنا احتاج «أحمد» لاستعمال آلة التنبيه ... فأطلقت السيارة الأخرى عواء مستفزًّا صنع ضجيجًا أثار الشياطين إلى درجة كادت تفقدهم صوابهم.

فقالت لهم «إلهام» لتهدئهم: يا جماعة إنها سيارة نقل حاويات، وسائقو هذه السيارات لهم سلوك خاص بهم فالزموا الهدوء ... ولا تتأثروا بما يفعل.

واتت «أحمد» فكرة مجنونة ... فصعد على الرصيف بعجلة السيارة اليمنى ثم بالعجلة اليمنى الخلفية ... وبهذا تمكَّن من السير في الجزء الصغير المتبقي من الطريق بجوار سيارة النقل ... وما حدث بعدها لم يكُن «أحمد» يتوقعه ... فقد انحرفت السيارة بشدة مغلقة الطريق عليه حتى كادت أن تدهسه ... وتصايح الشياطين في استنكار لِمَا يفعله هذا السائق المجنون ... وانسحب «أحمد» من الطريق بسرعة ... وقبل أن يعتدل السائق ويُغلق الاتجاه الآخَر ... كان «أحمد» قد تجاوزه بسرعة مجنونة ... وارتفع عن بُعد صوت سارينة سيارة الشرطة ... فقال «أحمد» معلقًا: لن يتمكنوا من الوصول إلينا ... فسيارة النقل تسد الطريق.

وهنا صاحت «ريما» قائلة: إنه يطاردنا!

أحمد: من؟

ريما: سائق سيارة النقل.

عثمان: كيف عرفتِ؟

ريما: لأنه لم يكُن يسير بهذه السرعة التي يسير بها الآن؟

وهنا علَّقَت «إلهام» في دهشة قائلة: إنها سيارة ضخمة للغاية ... فكيف يسير بها بهذه السرعة؟

فقال «أحمد» يُداعبهم: أشعر أني غزالة يطاردها ديناصور.

فعلق «عثمان» يقول ضاحكًا: أنت غزالة يا «أحمد»؟

فصاح «أحمد» وهو يتشبث بعجلة القيادة: أقصد السيارة يا رجل!

وارتجت السيارة فجأة بعنف ... فرغم سرعتها اصطدمت بها سيارة النقل من الخلف فثبت الشياطين جميعًا أحزمة الأمان ... وصاح «أحمد» قائلًا: ستشاهدون ما ستفعله الغزالة بالديناصور.

وعن بُعد كانت سيارتان للشرطة تغلقان الطريق ... فانحرف «أحمد» بالسيارة إلى أقصى اليسار فجأة فتخطته سيارة النقل ومن خلفها سيارة البوليس تطلق سارينتها ... ولم تمضِ سوى دقائق حين ارتجت الأرض إثر اصطدام سيارة النقل بسيارتي البوليس

فأطاحت بهما في الهواء، ودوى في فضاء المنطقة صوت انفجارات ثلاثة لسيارتي البوليس وسيارة النقل.

عَبَر «أحمد» الرصيف الفاصل بين الاتجاه المعاكس ... وسار عكس الاتجاه حتى يمكنه تفادي السيارات التي أغلقت الطريق ... وبعدها عاد إلى الطريق مرة أخرى ... وانطلق عائدًا إلى المقر على ضفة نهر «النيكر».

والآن ... الآن فقط ... رأت «ريما» أن الوقت مناسب لطرح سؤالها الذي يوترها منذ رأى «عثمان» الكلب في سيارة عبرت بجوارهم ... فقد قالت: أشعر أن هناك صلة ما بين سائق السيارة الذي أوصلنا إلى «هايدلبرج» وهذا الكلب رأيناه في المقر ... فكلاهما رأيناه مرة أخرى في سيارة عابرة ... وكأنه يرينا نفسه.

أحمد: أنا لا أفهم ماذا تقصدين؟!

ريما: أشعر أنهم يدفعوننا للقلق والتوتر لنشعر بخطورة وجودنا هنا فنعود إلى «سويسرا» مرة أخرى.

وافق الجميع على ما في كلام «ريما» من منطق ... غير أن «أحمد» رأى أنه بغير إثبات كافٍ، وعليهم أن يعودوا إلى المقر لإثبات صحته.

وهنا صاح «عثمان» يقول لـ «أحمد»: هل يمكنك أن تتوقف الآن؟

فقال له «أحمد» في استنكار: هنا؟ في منتصف الطريق؟!

عثمان: لا أقصد ذلك ... بل أقصد أن توقف السيارة على جانب الطريق ... فلديَّ ما أقوله قبل أن نصل إلى المقر.

كان «أحمد» قد نفَّذ ما طلبه «عثمان» قبل أن ينهي حديثه ... واقترح عليهم بعد أن غادروا السيارة أن يعبروا الطريق إلى شاطئ نهر «النيكر» ... فهناك يمكنهم سماع «عثمان» بإنصات. ورغم برودة الجو على شاطئ النهر ... إلا أن حديث «عثمان» كان ساخنًا للغاية ... فقد قال: لا أعرف حتى الآن لماذا تخيلتم أن هناك صلة بين الرجل الذي أوصلنا ... وبين الكلب الذي استقبلنا وبين سيارة النقل التي كادت تدهسنا.

قاطعته «ريما» قائلة: أنا لم أتخيل.

فأشار لها مُبديًا رغبته في استكمال حديثه ... فتوقفت وتركته يكمل قائلًا:

أولًا: الرجل الذي أوصلنا لم يكُن يعرفنا حتى استأجرنا سيارته.

ثانيًا: الكلب كان في المقر وهم لا يعرفون أننا سنلجأ للمقر ... بل لا أحد يعرف ذلك؛ لأن سفرنا كان مفاجئًا بناءً على طلب «إلهام».

ثالثًا: سيارة النقل كانت تسير في اتجاه معاكس لاتجاهنا ... ونحن في غير الاتجاه. أي إننا ذهبنا إليهم ... ولم يتعمدوا هم مطاردتنا.

قطع عليهم الحديث صوت سارينة سيارة شرطة تقترب منهم ... غير أنها عبرتهم بلا توقف. فاستكملوا حديثهم ... وكان الحديث هذه المرة لـ «أحمد» يفنِّد كلام «عثمان» فقال:

أولًا: الرجل الذي أوصلنا ... عَبَر بنا الحدود بين «سويسرا» و«ألمانيا» وكما قلنا فلـ «زائيفي» عيون كثيرة ترصد الخارجين من بوابات الحدود ... أي إنه عرف بخروجنا.

ثانيًا: نحن لم نذهب خلف سيارة النقل ... بل هم الذين استدعونا إليهم ... بإبراز الكلب من نافذة السيارة.

ورأت «إلهام» مما سمعته أن المقر لم يعُد آمنًا ... فقالت لـ «أحمد»: لماذا لا تتصل برقم «صفر» وتسأله في كل ذلك؟

أحمد: لقد طلب منا عدم استعمال أجهزة لها اتصال بالأقمار الصناعية.

إلهام: معنى ذلك أنهم يراقبوننا على الأرض وفي الفضاء؟

أحمد: نعم!

ريما: ولماذا لم يتخلصوا منا وكنا بين أيديهم؟!

أحمد: هم يشعرون أن لنا أعوانًا هنا ... ويريدون أن يوقعوا بنا دفعة واحدة.

هيا بنا ... أشار لهم بيده وهو يقولها أثناء استعداده لعبور الطريق إلى حيث تقف السيارة ... ثم عبره وهم خلفه جميعًا وفي رأسهم قرار واحد هو كشف غموض ما يجري في المقر الآن ... وكان عليهم العودة له فرادى ... حتى لا يكتشف أحد أمرهم ... لهذا غادر «عثمان» السيارة قبل بلوغهم المقر بعدة أمتار ثم انطلقوا حتى تجاوزوه أيضًا بعدة أمتار ... فغادرت «إلهام» واستكمل «أحمد» المسير ثم انعطف يمينًا ودار حول المباني المجاورة للمقر حتى أصبح خلفه ... فوقف للحظات غادرت فيها «ريما» السيارة ... ثم انطلق بها إلى أن لمح مجموعة من الأشجار كثيفة الخضرة متشابكة الفروع، فترك السيارة بينها ... وعاد يجري في رشاقة إلى أن رأى السور الخلفي للمقر ... فتوقف للحظات ... يستطلع خلالها الطريق ... ويعد ساعة يده للقيام بإحدى وظائفها الهجومية ... فقد استحضر على شاشتها برنامج الشوشرة الإلكترونية ... وأطلق له العنان ... قبل أن يقفز السور في خفة الفهود ... وهو مطمئن أن أجهزة الرصد الإلكتروني لن تكتشفه.

وعندما أصبح فوق السور ... لمح آخر الممر الفاصل بين حديقة المقر ومبناه الرئيسي مَن يحاول الدخول فعرف أنه «عثمان» ... غير أنه أراد أن يتأكد من ذلك فأرسل له إشارة عَبْر ساعة يده ... فعادت له مرة أخرى ووخزته في رسغه فعرف أن الذي تلقاه هو «عثمان» وأنه يرد عليه.

كان ارتفاع السور يحول دون محاولة أحد القفز منه إلى داخل المقر ... غير أن «أحمد» أصرَّ على فعلها ... فقفز ودار دورتَين في الهواء ... قبل أن ينزل واقفًا ويا لدهشته فقد نزل واقفًا أمام باب دخول المبنى الرئيسي!

الدخول إلى المجهول!

كانت الخطوة التالية هي أهم خطوة ... وتحتاج لمسح الطريق قبل أن يخطوها ... إنها خطوة الدخول إلى المجهول ... فخلع من كعب حذائه أسطوانة مفلطحة وألصقها بالباب ... وشرع يضغط زرًّا بها ... ثم عاد يضغط زرًّا آخَر لدقائق ... بعدها أدخل بطاقته الأمنية المغناطيسية في فتحة بجوار الباب ... فشعر أن في الأمر شيئًا فترك الأساليب الاعتيادية وقرر اللجوء إلى أساليبهم هم.

فأخرج من حزامه شريطًا في نهايته رأس معدني مُدبَّب ... أدخله في فتحة دقيقة بالباب وبعد لحظات أصدرت صوت انفجار مكتوم ... وبعدها وضع بطاقته الأمنية المغناطيسية مرَّة أخرى فانفتح الباب.

كان «عثمان» يراقبه من مكمنه المظلم في الحديقة ... فلحق به قبل أن يغلق الباب بعد دخوله وما إنْ رآه «أحمد» حتى أشار له طالبًا منه تأمينه ... وشرع يفتح الأبواب بابًا خلف الآخَر في حذر واستعداد لمواجهة أي خطر يقبع خلفه.

كانت كل غرف الطابق الأرضي خالية إلا من الأثاث ... ولم يلاحظ آثارًا لاقتحام أو سطو ... أو حتى تلصُّص من غرباء.

إلا أنهما أيضًا لم يجدا أثرًا للكلب ... وكانت الخطوة الأخرى هي الانتقال لمسح الطابق التالي ... فقد يجدان فيه مفاجأة ما ... إلا أن تأخُّر وصول «ريما» و«إلهام» جعلهما يؤجِّلان الصعود لأعلى بعض الوقت ... وعندما أصبح مدى التأخير غير منطقي ... قام بإرسال رسالة لـ «ريما» عَبْر ساعته ... غير أنه لم يتلقَّ أية استجابة لا منها ولا من «إلهام» ... فقرر الخروج لاستطلاع الأمر.

وما إنْ فتح الباب وأخرج رأسه لاستكشاف المكان قبل خروجه حتى قال له «عثمان»: لا تخرج يا «أحمد» ودعنا نعُد خطة أولًا.

أحمد: خطة لماذا؟

عثمان: إن خروجك يعني أني سأصير هنا وحدي دون أن أعرف ماذا يدور في الأدوار العلوية.

استمع «أحمد» باهتمام لما يقوله ... فأكمل قائلًا: ومعناه أيضًا أنك ستصير وحدك في ظلام حديقة المقر ... وهي خطة جيدة لاصطيادنا فرادى.

فقال له «أحمد»: وماذا تقترح؟

فاقترب منه وقال هامسًا: سنصعد أنا وأنت لمسح الدور العلوي ثم سطح المقر ... بعدها يغادر أحدنا للبحث عن «ريما» و«إلهام» ويبقى الآخَر لحمايته ببندقية آلية ذات جهاز توجيه موجي ... لنضمن إصابة الهدف في أدق الظروف.

لاقى ما اقترحه «عثمان» قبول «أحمد» فسبقه يصعد السلم شاهرًا مسدسه ... ومن خلفه «أحمد» يحمي ظهره ... إلى أن انتهى من المرحلة الأولى ... فسبقه «أحمد» بالصعود أيضًا شاهرًا مسدسه وهو من خلفه يحمي ظهره ... وهكذا إلى أن صعدا إلى الدور العلوي فرأى باب إحدى الغرف مواربًا ... فوقف بجواره حتى لا يكون في مرمى نيرانِ مَن بداخله ثم أطلق قدمه قذيفة في الباب ... فانفتح عن آخِره ... وانفتح فمه أيضًا دهشة ... لِمَا رآه ... فقد رأى حبلًا معلقًا في سقف الغرفة ... ورجلًا معلقًا فيه من رقبته وعينَيه جاحظتَين ... ولسانه قد خرج عن آخِره من فمه.

تبادل الصديقان نظرات التساؤل والإشفاق على الرجل ... ثم نظرة أخيرة ... بعدها خرجت طلقة من مسدس «أحمد» أصابت الرجل في بطنه ... فدوى في الغرفة صوت انفجار شديد لقنبلة كانت مثبتة بحزام الرجل ... وما إن هدأت النيران ... حتى دخل الصديقان يفحصان المكان جيدًا ... فقد عرفا أنه فخ ... وأن الرجل لم يكُن سوى دُمية ... مَن يحاول إنزالها تنفجر فيه القنبلة.

وبهذا تأكد أن المقر قد تم اقتحامه ... وأنه مسكون الآن بالأغراب ... وأن «ريما» و«إلهام» في خطر وعليهما أن يتحركا بسرعة.

كانت الخطوة التالية هي مسح بقية غُرف هذا الطابق ... ومثلما فعلا من قبل ... فعلا مع هذه الغرف ... ولم يجدا شيئًا غير عادي ... فصعدا إلى سطح المبنى ... فلم يجدا إلا برج المراقبة الإلكتروني وطبق استقبال الأقمار ... وبرجًا أخيرًا مثبتًا به كشاف لا يعمل.

ورأى «أحمد» أنهم في حاجة إليه ... فشرع يفحص أسلاكه في الوقت الذي تفقَّد فيه «عثمان» المكان جيدًا ... وقام بتثبيت أكثر من بندقية آلية في أكثر من اتجاه.

وعندما عثر «أحمد» على سبب عُطل الكشاف ... كان «عثمان» يتلقَّى اتصالًا عَبْر ساعته من «ريما».

أووه ... أين أنتِ يا «ريما»؟!

هكذا قال «عثمان» ... وهكذا أيضًا قالت «ريما»: فقال يُجيبها ويسألها في نفس الوقت: أنا هنا، ولكن أين أنتِ؟

ريما: أنا في مبنى المقر.

نظر «عثمان» حوله يستطلع المكان وهو غير مصدق ... ثم سألها مرة أخرى قائلًا: أين أنتِ؟

تعجَّبَت «ريما» لتكرار السؤال، وقالت بجِدَّة: ماذا بك يا «عثمان» ... ألم أقُل لك إني في مبنى المقر؟

عثمان: نعم ... نعم.

ريما: ولكن أين أنت؟

عثمان: هنا.

ضحكت «ريما» وسألته في دهشة: هنا أين؟

انتبه «عثمان» لِمَا يقوله، وقال موضحًا: أقسم إني لا أعرف ... لقد كنت متأكدًا أني في مبنى المقر منذ دقائق.

ريما: وماذا حدث؟

عثمان: أنتِ تقولين لي الآن إنكِ في مبنى المقر ... أي مبنى ... وأي مقر؟

لقد فحصنا المبنى كله فلم نجد به أحدًا ... ولم نجد إلا ...

وقاطعته «ريما» قائلة: لا داعي لأن تحكي الآن وأخبرني هل رأيت «أحمد»؟

نظر «عثمان» إلى جواره وقال: نعم ... إنه بجواري، أي فوق سطح المبنى.

ريما: وأنا معي «إلهام» وسأتصل بكما بعد دقائق.

كان «أحمد» يجلس مستندًا على البرج الذي يحمل الكشَّاف ... ممسكًا بمسدسه ... وقد فكَّك أجزاءه وشرع في تنظيفه ... عندما قال «عثمان» وهو يهم بالجلوس إلى جواره: إنها «ريما».

انشغل «أحمد» بتنظيف المسدس وقال يسأله: وأين هي؟

قال «عثمان» في لهجة تعجب: هي تقول إنها في المقر!

وبدهشة سأله «أحمد»: أي مقر؟!

عثمان: مقر المنظمة.

اعتدل «أحمد» في جلسته وسأل بلهجة جادة قائلًا: أية منظمة؟

فقال «عثمان» بنفاد صبر: منظمتنا يا «أحمد» ... منظمة الشياطين.

اعتدل «أحمد» مرة أخرى في جلسته، وقال يسأله: وأين نحن إذَن؟

أشاح عنه «عثمان» وهو يقول: لا أعرف!

انتفض «أحمد» واقفًا وصاح يقول له: كيف لا تعرف ... ألم ترَ معي غُرف المبنى ... أليس هو مبنى المقر؟

فقال «عثمان» يُحذره: اخفض صوتك ولا تُعرضنا للخطر.

ازداد انفعال «أحمد» وعاد يسأله قائلًا: أي خطر أيها الشاب ... إن الخطر الحقيقي هو ما تتحدث به الآن ... أتعرف معنى أن تشُك في عقلك ولا تعرف أين أنت، ولا تعرف كيف تحدِّد هدفك ... لأنك لا تعرف لك هدفًا؟!

أشار له «عثمان» بيده ليكف عن الكلام وسمعه وقال له: أعرف أن هدفي هو رجال «سوبتك» ولكني أقول لك ما قالته «ريما».

أحمد: وكيف تأكدت أن المبنى الذي تتحدث منه هو مقرنا؟!

قال «أحمد» ذلك ثم جلس مرة أخرى بجوار «عثمان» وقال له: معنى ذلك أنها موجودة الآن في مبنى يشبه مبنانا وبه نفس الأثاث.

وهنا قاطعه «عثمان» قائلًا: أي أثاث يا «أحمد»؟ هل رأيت اليوم في هذا المبنى أي أثاث نعرفه أو رأيناه من قبل؟

صمت «أحمد» للحظات ثم قال: لا يا «عثمان» لا ... ما رأيته من أثاث هنا ... لم أرَه من قبل ... وظننتُ أنها تجديدات قامت بها المنظمة.

من هنا التقطه «عثمان» وقال له: معنى هذا أن «ريما» رأت ما هو أصدق مما رأيناه.

أحمد: تقصد أن يكون المبنى الآخَر به أثاث المنظمة المعروف والذي رأيناه به منذ شهور عندما كنا هنا في «هايدلبرج»؟

عثمان: نعم.

أحمد: ولكني دخلت هذا المبنى ببطاقتي الأمنية!

عثمان: لم يحدث.

فقال «أحمد» محاولًا إخفاء ثورته: كيف يا «عثمان»؟

عثمان: لقد احتجت لاستعمال شريط تفجير لتتمكن من دخول المقر.

أحمد: ولكن الباب لم ينفتح إلا بالبطاقة الأمنية.

عثمان: أي بطاقة مغناطيسية تُوضع فيه بعد الذي حدث له كانت ستفتحه!

أحمد: وماذا يعني هذا؟!

عثمان: معناه أننا لسنا في مبنى المقر!

أصبح هذا الاحتمال غير بعيد عن ذهن «أحمد» ففي داخله كان يشعر أنه غريب عن هذا المكان وشعر أنه يحتاج لأن يحادث «ريما» و«إلهام» وكأنما شعرا هما بذلك ... فلم تمضِ لحظات إلا وتلقَّى اتصالًا من «ريما» فطلب من «عثمان» أن يرد عليه، فيداه مشغولتان ... وبالفعل فتح «عثمان» الخط قائلًا: «ريما» ... هل المبنى الموجودة به أنتِ الآن به أي اختلاف عن مبنى المقر القديم؟

ريما: لا ... لماذا يا «عثمان»؟

عثمان: لأن المبنى الذي اقتحمناه أنا و«أحمد» يختلف كثيرًا عنه رغم وجود تشابه بينهما.

ريما: وكيف دخلتماه؟!

عثمان: بشريط تفجير!

ريما: إذَن كيف لم تعرفوا أنه ليس المبنى؟

عثمان: لأننا ظننا أن من اقتحموه غيروا من شفرته الأمنية ... فقد وجدنا فتحة إدخال البطاقات الأمنية في نفس المكان بجوار الباب مثلما في مقرنا.

ريما: إذَن عليكم مغادرة المكان فورًا قبل عودة أصحابه، فقد يكون خاصًّا بجهة أمنية أو مخابراتية. نحن في انتظاركما فلا تنتظرا أكثر من هذا ... بعدما انتهى اتصال «ريما» ... أخبر «أحمد» عن كل ما دار ... إلا أن «أحمد» أبى مغادرة المكان إلا بعد فحص غُرفه جيدًا ... ومعرفة لَمن يكون. غير أن اتصالًا من رقم «صفر» جعله يُغير رأيه ... فقد قال له: أولًا: هذا المبنى مبنى هيكلي ... أي نحن قد بنيناه في هذا المكان للتمويه ... وها هو يُقتحم مرتين في يوم واحد.

أحمد: أهناك مَن اقتحمه غيرنا؟

رقم «صفر»: نعم ... فبعد أن تركككم سائق السيارة الذي عبر بكم الحدود من «سويسرا» سار خلفكم وعرف إلى أين تذهبون ... وبالطبع أبلغ «زائيفي» الذي تحرى عن المباني المجاورة ... وعرف أن هذا المبنى بالذات مملوك لشخص غير ألماني ... فأمر رجاله باقتحامه. ألم أقُل إنه يبحث عن أعوانكم وزملائكم.

أحمد: إذَن أين الكلب الذي قابلناه من قبل؟

اختطاف الهليكوبتر!

استجاب رقم «صفر» لرغبة الشياطين في الإجابة عن كل الأسئلة التي تدور بذهنهم، وأخبرهم أن الكلب خرج في مهمة رسمية ... وهنا فجَّر «أحمد» سؤاله القنبلة حيث قال له: لماذا شنقتموه يا زعيم؟!

انزعج رقم «صفر» وسأله قائلًا: هل وجدتم أحدًا مشنوقًا؟

أحمد: إنها دُمية وجدناها مُعلقة في السقف وبها قنبلة.

رقم «صفر»: ليس هذا أسلوبنا إنها حيلة من حيلهم.

أحمد: معنى هذا أنهم يعلمون أننا في «ألمانيا»؟

رقم «صفر»: ويظنون أن هذا مقركم ... وتركوا لكم هذه الدُّمية لإخباركم بذلك ... ولجئوا إلى هذا الأسلوب لإظهار مدى دمويتهم وقدرتهم على القتل والتدمير.

أحمد: أي يقصدون إرهابنا؟

رقم «صفر»: نعم.

أحمد: إنه أسلوب صبياني!

رقم «صفر»: حقًّا ... ولكن متى ستأتون إلى المقر؟!

كان لدى «أحمد» سؤال آخَر، لذا وبدلًا من الإجابة على سؤال رقم «صفر» ... طرح هو سؤاله قائلًا: لماذا لم يستجب جهاز فتح الباب لبطاقتي الأمنية؟

رقم «صفر»: لأنه لا يفتح ببطاقات مغناطيسية.

ضحك «أحمد» ساخرًا من نفسه ... ثم قال لرقم «صفر»: هل نتحرك الآن؟

رقم «صفر»: نعم ... وسأغادر أنا ... إلى اللقاء.

دقائق مَضَت قبل أن يتحرك الزميلان لمغادرة سطح المقر الهيكلي ... وقبل أن يبلغا سلم النزول ... رأيا سيارة دفع رباعي «مرسيدس» سوداء تخرج من باب المقر فعرفا أنه

رقم «صفر» فتابعت عيونهما سيارته إلى أن اختفت في الظلام فانتبها إلى صوت محرك هليكوبتر يقترب منهما ... وشعاع كشَّافَين ينطلق من أسفلها ... فيبدِّد ظلمة المكان حولهما ... فانبطح كلٌّ منهما في مكان بعيد عن الآخَر لكيلا يكتشفهما مَن بالطائرة ... فدارت أضواء الكشَّافَين تمسح سطح المقر بحثًا عنهما ... وهما يتقلبان ذات اليمين وذات اليسار لتفاديها ... وصاح «عثمان» يقول لـ «أحمد»: إنهما يبحثان عنا.

فقال له: وهو يحاول الاختباء خلف درج الكشَّاف دون أن يروه: وكيف عرفوا أننا هنا؟!

تلوَّى «عثمان» كالدودة حتى وصل إلى برج الاتصال فاختبأ خلفه، وصاح يقول لـ «أحمد»: هناك مَن يراقبنا من حديقة المقر.

زادت ضوضاء محرك الهليكوبتر ... فأخفت صوت الطلقة التي خرجت من ماسورة بندقية تطل من نافذتها ... فأصابت الكشاف القابع مظلمًا أعلى البرج ... فتهشم زجاجه ... وسقط شظايا على رأس «أحمد» الذي رفع يدَيه ليتحاشاه ... في نفس اللحظة أرسل «عثمان» أول طلقة من سلاحه الآلي فأصابت أحد كشَّافَي الطائرة غير أنها لم تكُن إصابة بالِغة ... فقد ظلَّ الكشاف مضيئًا.

وبالطبع كانت هذه طلقة استكشاف أعقبها دفعة من عدة طلقات في نفس الاتجاه مع تعديل بسيط في زاوية الانحراف ... تسببت في تهشيم أحد الكشَّافَين ودارت الطائرة دورة مجنونة حول نفسها ... ثم خرجت من مسارها لتدور حول سطح المقر الهيكلي ... ولم يكُن الشيطانان أقل منهم ذكاءً ... فقد دارا حول البرجَين اللذين يحتميان بهما ... وتواجهوا للمرة الثانية «أحمد» و«عثمان» والطائرة ... مع اختلاف بسيط ... فهذه المرة كان «أحمد» قد التقط بندقيته وصوبها إلى زجاج الطائرة الأمامي.

وكأنهم رأوه ... فقد دارت الطائرة مرة أخرى حول نفسها ... وقبل أن تستقر مُحلِّقة في مكانها ... كانت ترسل دفعة رشاش ... أصابت عنق الكشاف ... فسقط مُحلقًا في الهواء ... وقبل أن يصطدم برأس «أحمد» كان «أحمد» قد خرج من مكمنه خلف البرج.

كان هذا ما يريده الجبناء ... فقد انهالت عليه من أركان الطائرة الأربع طلقات يعلو صوتها على صوت هدير محرك الطائرة.

وسقط «أحمد» يتخبط من هول الصدمة، وكان سقوطه سبب نجاته فقد مرت الرصاصات تدوي من فوقه وتصطدم ببرج الكشاف فتطن في أصوات متتابعة تتابع الطلقات وحسمت المعركة ... دفعة الطلقات الثانية التي أطلقها «عثمان» على كشاف الطائرة الآخَر ... فأظلمه للأبد ... وسقط زجاجه شظايا في الهواء.

جُن جنون مَن بالطائرة ... لم يرتضوا بهذه النتيجة ... وعلى ضوء كشَّاف يدوي قفز منها أربعة رجال بالمظلات ... في حماية وابل من الرصاص يفرش سطح المقر كله ... كانت «ريما» و«إلهام» تتابعان ما يجري من مكمن فوق سطح المقر الرئيسي ... وكان حماس «ريما» للاشتراك في التصدي لهؤلاء الهابطين من السماء في المظلات سببًا في إثارة أعصاب «إلهام» التي قالت لها: احذري يا «ريما» فقد يكتشفون وجودنا.

ريما: وهل نترك «أحمد» و«عثمان» لمواجهة أربعة رجال يحميهم مثلهم في الطائرة؟!

إلهام: تعرفين أن بإمكانهما مواجهتهم، وقد نتدخل ولكن ليس الآن.

وفي انفعال قالت «ريما»: متى إذَن يا «إلهام»؟!

إلهام: عندما يكون هناك خطر على حياة زميلَينا.

ريما: ولكنهما في خطر!

وهنا قالت «إلهام» في نفاد صبر: المقر هو المُعرَّض الآن للخطر بسبب ما تفعلينه.

لم تُعلِّق «ريما» على ما قالته «إلهام» التي توقفت فجأة عن الكلام ... وكان السبب هو انتقال الطائرة الهليكوبتر من موقعها فوق المقر الهيكلي إلى أجواء المقر الرئيسي ... وأخذت تدور حول نفسها لدقائق قبل أن تهبط على أكثر المساحات اتساعًا على سطحه ... وقبل أن يهبط من بها كانت «ريما» ومعها «إلهام» قد هبطتا إلى قبو المقر فحصلتا على أسلحة آلية ... وعادتا واتخذتا موقعًا بأعلى السلم الداخلي ... يكشف سطح المقر ... ومنه اكتشفتا أن مَن بالطائرة هبطوا بها في هذا الموقع ليشتركوا في الصراع الدائر بين رجالهم وكلٍّ من «أحمد» و«عثمان»، وأنهم جميعًا يقفون خلف السور الأمامي المواجه لسطح مبنى المقر الهيكلي.

تبادلت الشيطانتان نظرات تفاهُم واتفاق وأخيرًا، إشارة بدء التنفيذ ... لقد اتفقتا على اختطاف الطائرة القابعة في الظلام ... خالية من ركابها ... دائرة المحرك ... تنتظر مَن يُحلق بها ... لقد اتفقتا على أن تُحلقا بها وتحسما المعركة من السماء وما إن أشارت «إلهام» برأسها ... حتى انطلقت «ريما» تقفز كالفهد درجات السلم المتبقية لبلوغ السطح شاهرة بندقيتها ... ومن خلفها «إلهام» تقبض هي الأخرى على مدفع رشاش لتحمي ظهرها.

لم يشعر أحد بهما ... فصوت هدير مروحة الهليكوبتر كان عاليًا.

لم يشعر أحد بهما إلا عندما زادت سرعة المروحة وزادت ضوضاء هدير المحرك فاستدارت فوهة بندقية في يد أحد الرجال إليهما ... فأسقطتها «ريما» بطلقة أصابت ذراع

الرجل ... في الوقت الذي كانت «إلهام» تحرِّك عصا توجيه الطائرة إلى تجاه الصعود ... لقد صعدت الطائرة ... وانطلقت الرصاصات من حولها مجنونة.

لقد جُن جنون الرجال على سطح المقر ... وعلى سطح المقر الهيكلي.

وقد ضحك «عثمان» طربًا لما آلَ إليه رجال العصابة ... الذين آثروا أن ينهوا المعركة لصالحهم بهذا العدد الكبير من الرجال ... وهذه الأسلحة الحديثة التي يستخدمونها ... فسخر منهم ذكاء الشياطين. وحوَّلَهم إلى فئران مذعورة تجري هنا وهناك.

لقد انطلقت رصاصات «ريما» و«إلهام» تفرش سطح المقر ... وتعربد بين أقدام الرجال فتعلو صرخاتهم ... ومن وسط هذا الضجيج صاحت «إلهام» تقول لـ «ريما»: حاولي أن تمنعيهم من الاقتراب من سلم النزول حتى لا يدخلوا المقر.

فقالت «ريما» بصوت عالٍ ليمكنها سماعها وسط هدير المحرك: أنا أريدهم أن يدخلوا المقر.

إلهام: لماذا؟!

ريما: إن لنا رجالًا في المقر الآن.

إلهام: تقصدين أن يقبضوا عليهم؟!

ريما: نعم.

إلهام: أنا لا أراها فكرة صائبة.

ريما: لماذا؟!

إلهام: لأنهم سيعرفون شيئًا عن المقر ... وقد يجرهم هذا الشيء لأشياء كثيرة وخطيرة.

ريما: إذَن نقضي عليهم!

إلهام: لا قتل إلا في الضرورة.

وفجأة صرخت «ريما» ... فقد أمسكت بساقها يدٌ بشرية ... فرفعت ساقها وجذبتها محاولة التخلُّص من هذه القبضة فلم تتمكن ... بل وجدت نفسها في الطريق للسقوط من الطائرة ... فالقبضة قد جذبت ساقها إلى خارجها، إنها قبضة قوية لرجل قوي وصرخت تستنجد بـ «إلهام» قائلة: سأسقط يا «إلهام».

جزعت «إلهام» ... واتخذت قرارها سريعًا بالهبوط بالطائرة ... وصرخت «ريما» تمنعها قائلة لها: لا يا «إلهام» إن هبوطنا سيقضي علينا.

ودوت رصاصة بجوار الطائرة جعلت الرجل يصرخ قائلًا: لا تطلقي النار ستُصيبينني.

غير أن الطلقات لم تنقطع ... وارتطمت إحداها بريشة المروحة، فقفزت عائدة لتُصيب الرجل في قدمه ... فعاد يصرخ فيها قائلًا: لا تطلقي النار ... سأموت!

رأت «إلهام» أنها فرصتها للتخلص من هذا الرجل ... فدارت بالطائرة وجعلته في مواجهتهما.

فصاحت «ريما» تقول: لا يا «إلهام» فقد يصيبونني.

فقالت «إلهام» في ثقة: لا تخشي شيئًا ... سأنهي هذا الموقف.

وفي حركة مفاجئة. انطلقت بالطائرة فوق البرج الذي كان يحمل الكشاف ... وجعلت الرجل يحتك به بقوة ... فلم يتمالك نفسه ... وتخاذلت قبضتاه ... فسقط يصرخ ... حتى ارتطم بالأرض!

كان الفزع قد تمَلَّك من كلٍّ رجال العصابة ... على سطح المقر الهيكلي وعلى سطح المقر الرئيسي ... وبالطبع كانت فرصة جيدة لـ «أحمد» و«عثمان» ليحسما المعركة مع رجال المظلات الذين هبطوا عليهما من الطائرة ... وكانت الخطوة التالية بالطبع هي معاونة «إلهام» و«ريما» في القبض على بقية رجال العصابة ... فهبطا الدرج سريعًا إلى حديقة المقر الهيكلي ومنه انتقلا بمهارة إلى المقر الرئيسي ... وقبل أن يتجاوزا حديقته ... شاهدا جثثًا تطير في الهواء ... وتستقر على أرض المقر.

بالطبع كان هذا وضعًا خطيرًا ... فالأجهزة الأمنية الآن في طريقها إليهم بعد كل ما أحدثوا من ضوضاء ... فقام «أحمد» باختراق كل المحاذير الأمنية ... والاتصال برقم «صفر» فحكى له سريعًا ما جرى ... وطلب منه التصرف.

ولم تمضِ غير بضع دقائق عندما أحاطت بمبنى المقر الهيكلي ... سيارات الإسعاف والشرطة والمطافئ ... وكان الشياطين قد نقلوا كلَّ الجثث لحديقة هذا المقر ... أما الطائرة فقد طارت بها «إلهام» بعيدًا ... إلى منطقة غابات على أطراف «هايدلبرج» وعادت إلى المقر هي و«ريما» في سيارة أجرة.

كانت المعركة شرسة، وكانت النتيجة المطلوبة هي القبض على «زائيفي» ... غير أنهم لم يجدوا «زائيفي» وسط مَن قتلوهم، وللأسف لم يقبضوا على أحد حي ... ليستخدموه في الإرشاد عن رجالهم في «هايدلبرج» ... أو الإدلاء بمعلومات قد تفيدهم في استكمال العملية حتى يقبضوا على «زائيفي».

و«زائيفي» لم يكُن بين هؤلاء المرتزقة لأنه رجل لا يحارب بيدَيه ... إنه يخطِّط ويدير من مكمنه وكما قالت «ريما» لهم: إنه لواء سابق ... ورجل علوم عسكرية ... ومثله قليل ... أما هؤلاء المساكين فهم يُقتلون ويموتون مقابل المال!

ومن على أحد المقاعد الوثيرة قال لها «عثمان» يداعبها: أرى أنكِ تُعجبين به!
ريما: بمَن؟!
عثمان: باللواء متقاعد «زائيفي».
وهنا صاح «أحمد» قائلًا: هناك مَن هرب من رجالهم إلى داخل المقر.

رقم «صفر» مرة أخرى!

انتبه الشياطين جميعهم لِمَا قاله «أحمد» ... وانتفض «عثمان» واقفًا ويده على مسدسه ... ومثله فعل «أحمد» وقبل أن تتحرك «إلهام» قالت تسأله: [هل أنت متأكد؟][1]

أحمد: نعم ... هناك من دخل غرفة رقم «صفر».

عثمان: كيف عرفت؟

أحمد: لقد سمعت صوتًا لحظيًّا خرج من سماعة الإذاعة الداخلية.

نظرت له «ريما» في تساؤل ثم قالت: أتراه يفضح نفسه؟

في هذه اللحظة خرج صوت صريح وواضح من السماعة يسأل «ريما» قائلًا: من هذا الذي سيفضح نفسه؟

وفي سعادة قالوا جميعًا: رقم «صفر»؟!

فقال لهم في ودٍّ خالصٍ: نعم ... لقد أبليتم بلاءً حسنًا ... وهي خطوة جيدة في طريقكم للقبض على «زائيفي» فقد عرف الرجل قدركم ... وأصبح يُدرك أن المعركة معكم لن تكون نزهة كما كانوا يظنون ... لقد قتلتم الكثير من رجالهم ... واستوليتم على طائرتهم ... التي لا أعرف أين هي؟

إلهام: إنها «هايدلبرج» في إحدى الغابات على مشارف «هايدلبرج».

قال رقم «صفر» في سعادة: عظيم يا «إلهام» ستغادرون «ألمانيا» إلى «فرنسا» جوًّا ... وتذهبون إلى «أنماس» من هناك.

وهنا صاحت «ريما» في دهشة تقول: الطائرة مرة أخرى يا زعيم؟

---

[1] الناشر.

رقم «صفر»: هذه المرة ستكون طائرة خاصة بنا.

أحمد: هل سنسافر الآن؟!

رقم «صفر»: لا ... غدًا صباحًا ... فأنتم الآن مرهقون ... ولا تبيتوا هنا الليلة. فهناك فندق بالقرب من المطار. تم حجز غرف لكم به بأسماء مستعارة من ملف خمسة ... ستمر عليكم سيارة أُجرة وتتوقف أمام الباب الخلفي لحديقة المقر في تمام الساعة الواحدة صباحًا ... سيسلمكم السائق جوازات سفركم الجديدة، وأجهزة محمول متطورة ذات أرقام كودية وبعض الفرنكات.

صاحت «ريما» قائلة: بعض؟!

ضحك رقم «صفر» وعاد يقول: أقصد الكثير من الفرنكات ... ولا تخشي شيئًا يا «ريما» ... فسيسلمكم بطاقات صرف آلي دولية ... يمكنكم السحب بها على ماكينات صرف النقود وأيضًا شراء ما تريدون ... واتخذ صوته طابع الجدية وهو يقول لهم: في إحدى بنايات الحي اللاتيني لنا شقة. ستمرون عليها للحصول على أسلحتكم الشخصية ومزيد من المعلومات ... ستمضون بهذه الشقة يومَين قبل أن تتحركوا إلى أطراف «فرنسا» حيث ستعبرون الحدود إلى «سويسرا» وبالتحديد قرية «أنماس» ... أرض العملية ... عنوان هذه الشقة سيكون ضمن الأوراق التي سيسلمها لكم السائق ... برجاء تخزين كل المعلومات على ساعاتكم في شريحة ذاكرة منفصلة ... والاحتفاظ بهذه الشريحة في جراب الساعة.

وهنا سألته «إلهام» في ودٍّ بالِغ: هل سنراك في «فرنسا» يا زعيم؟

ابتسم الزعيم وهو يقول: لن تروني لا في «فرنسا» ولا هنا ولا في «مصر».

ضحك الشياطين ... قبل أن يكمل رقم «صفر» قائلًا: أنا سأبقى في «ألمانيا» ... فلديَّ عمل كثير ... وفقكم الله!

تبادل الشياطين النظرات للحظات قبل أن يصيح «عثمان» قائلًا: لقد نسيت أن أسأل رقم «صفر» سؤالًا خطيرًا.

وفي لهفة سألته «ريما» قائلة: وما هو؟!

عثمان: هل يوجد طعام للعشاء أم لا؟!

ضحكوا جميعًا في سعادة ... وصدَّق «أحمد» على كلامه قائلًا: لك كل الحق في أنه أخطر سؤال الآن.

وانطلق «عثمان» إلى المطبخ وهو يقول: وأنا مَن سيجيبكم عليه.

ولأنهم جميعًا كانوا في شدة الجوع ... فقد انطلقوا تباعًا إلى المطبخ ... وتعاونوا في إعداد عشائهم ... وما إن انتهوا من إعداده حتى كانوا قد انتهوا من تناوله ... فقد كانوا يأكلون كل ما يعدونه أولًا بأول.

وخرجوا سويًّا يحملون أكواب الشاي الساخنة ... والتي لم تعُد ساخنة بمجرد أن خرجوا بها من المطبخ ... فقد كان الجو غاية في البرودة ... مما دفع «عثمان» لاقتراح إدارة التكييف دورة ساخنة، وهنا اعترضت «ريما» قائلة: سيكون هذا ضارًّا بنا جدًّا لأننا سنخرج إلى الشارع خلال ساعات.

عثمان: إننا سنركب السيارة.

أحمد: تحمَّل البرد قليلًا ... بدلًا من معاناة المرض طويلًا.

كان الشياطين منهكين ... وكانوا في حاجة ماسة للنوم ... غير أن النوم الآن وحتى الساعة الواحدة ميعاد مغادرتهم للمقر ... سيزيدهم شعورًا بالبرد والإرهاق ... لذلك كان الحل هو اللجوء إلى البديل الأمثل ... الاسترخاء.

وقال لهم «أحمد» وهو في هذه الحالة: أتعرفون أن كثيرًا من قادة الجيوش أثناء الحرب العالمية الثانية كانوا يلجئون للاسترخاء بديلًا عن النوم.

فقال «عثمان» وهو شبه نائم: في الحرب العالمية الثالثة لن يجدوا لا نومًا ولا استرخاءً.

فسألته «إلهام» وقد أعجبتها الدُّعابة: لماذا يا «عثمان»؟

عثمان: لأنه لن يكون هناك حرب عالمية ثالثة!

أحمد: صدقت ... لن تكون حربًا ... بل دمارًا عامًّا متبادلًا.

مرَّ الوقت سريعًا. وقبل الواحدة بدقائق كان السائق يجلس خلف عجلة سيارة الأجرة أمام الباب الخلفي للمقر.

وعند تمام الواحدة ... كان الشياطين يغادرون المقر ومعهم حقائبهم ... ويركبون السيارة ويغلقون أبوابها.

وبعد نظرة سريعة على الطريق قال «أحمد» للسائق: ما اسمك؟

الرجل: «شمث».

أحمد: هل أنت ألماني؟

الرجل: نعم ... من «بافاريا».

أحمد: أرجو أن تتحرك.

انطلق الرجل بالسيارة بنعومة أثارت إعجاب الشياطين ... وكان لـ «إلهام» سؤال مهم يشغلها فقالت له: هل تعرفنا؟!

السائق: نعم ... فأنا زميل لكم.

تنفسوا جميعًا بعمق ... وعاد الرجل يقول لهم: إن لكم عندي بعض الأوراق.

وعلَّقَت «ريما» تُداعبه قائلة: وبعض الفرنكات!

قال «شمث» وقد بدا الصدق في صوته: أنا لا أعرف أكثر من أنها بعض الأوراق.

قال هذا ومدَّ يده بحقيبة جلدية صغيرة إلى «أحمد» الذي كان جالسًا بجواره ... فأخذها منه ... وأخرج ما فيها ... وسَلَّم كلَّ واحد منهم ما يخصه.

فقالت «ريما» تُعلق على ما يحدث: من الأفضل أن يتم هذا في الفندق يا «أحمد».

وهنا تدخَّل «شمث» قائلًا: ما يفعله السيد «أحمد» هو الصواب ... لأنكم في حاجة لجوازات سفركم في مكتب استقبال الفندق.

ابتسم «أحمد» موافقًا على ما يقوله «شمث» مع أمنيات بلقاء آخَر ... ثم دخلوا تباعًا إلى الفندق وليس شيء في خاطرهم إلا النوم ... فهم في حاجة إليه بعدما مرُّوا به اليوم وقبل ما سيبدءونه غدًا ... كانت الساعة قد قاربت الثانية صباحًا حين استسلموا جميعًا للنوم ... مستغرقين في عمق سحيق ... ومع ذلك وفي تمام الساعة السادسة صباحًا ... استيقظوا كعادتهم نشِطين فساعاتهم البيولوجية، قد تم ضبطها بالتمرين الطويل.

ولأن رقم «صفر» يعرف ذلك جيدًا ... فقد حدَّد لهم ميعاد السفر في تمام السابعة، ولأن المطار كان قريبًا من الفندق ... لم يستغرقوا وقتًا في الوصول إليه ... وكذلك لم يستغرقوا وقتًا في الوصول إلى مطار «شارل ديجول، بباريس» وهناك لم يجدوا أحدًا ينهي لهم إجراءات دخول «فرنسا» ... فقد كان عليهم دخولها كطلبة دراسات عُليا لتكنولوجيا المعلومات ... لا أعضاء منظمة أمنية دولية مهمة.

ولم تستغرق إجراءات الدخول وقتًا ... فالنظام هنا صارم ... والوقت له ثمن.

وخارج المطار استوقفوا تاكسيًا وطلبوا منه التجول لبعض الوقت في شوارع العاصمة الجميلة فهم في شوق لشارع «الشانزليزيه» و«قوس النصر» وحدائق «لافايت» وغيرها الكثير من معالم «باريس» الرائعة ... وهنا تدَّخل «أحمد» قائلًا: سنتناول إفطارنا في مطعم «جون فيرن» أولًا ... ثم نتحرك من هنا.

سكت الجميع ولم يُعلِّق أحد على ما قاله ... ففهم السائق أن عليه أن يتوجَّه بهم إلى برج «إيفل» حيث يقع المطعم في الطابق الثاني.

رغم أن سكوتهم يعني موافقتهم على ما قرره «أحمد» ... إلا أن أسئلة كثيرة جالت بخاطرهم ولهم الحق في ذلك ... ألم يطلب منهم رقم «صفر» التجول بحرية في «باريس»

لمدة يومين قبل الانتقال إلى «أنماس» ... لماذا إذَن اتخذ «أحمد» هذا القرار بالتوجه مباشرة إلى برج «إيفل»؟!

وكان هذا السؤال هو أول الحديث عندما جلسوا يتناولون الإفطار في أشهر برج في العالم، فقال لهم «أحمد»: قد نتحرك اليوم إلى «أنماس».

عثمان: لماذا؟

أحمد: لقد أثار «زائيفي» ما جرى لرجاله في «هايدلبرج» ... وبدأ يتخذ قرارات عصبية تصل إلى حد عمليات التخريب.

إلهام: تخريب ماذا؟

أحمد: تخريب منشآت حكومية على الأراضي العربية ... وضرب مصالح أجنبية فيها كالسفارات ومكاتب التمثيل التجاري وغيرها من المنشآت الحيوية.

ريما: والمطلوب سرعة مواجهته؟

أحمد: هو كذلك.

عثمان: علينا أن نتحرك الليلة.

ريما: في هذا الجو البارد؟!

عثمان: نحن جاهزون لكل الظروف ... أليس كذلك؟

أجاب الجميع قائلين: نعم ... دائمًا.

كان الطريق إلى «أنماس» تغطيه الثلوج ... وكانت السيارة التي تقل الشياطين ذات دفع رباعي ... ورغم ذلك فقد قاست كثيرًا في هذا الطريق ... ذلك لأن الثلوج زاد ارتفاعها على الطريق عن المتر ... وأصبحت حركة السيارات عليه مستحيلة، وكان عليهم انتظار كاسحات الثلوج ... لتُخلي لهم الطريق ... ولم يكُن هذا حالهم وحدهم ... بل كان حال كثير من أصحاب السيارات.

معنى هذا أننا سنبيت في السيارة؟!

هذا ما قالته «إلهام».

فقال «أحمد» في استسلام يجيبها: نعم ... وليس لدينا حل آخَر.

ريما: وهل هناك حل لهذا البرد الذي أشعر به؟

أحمد: نعم ... اشربي شايًا دافئًا.

وهنا صاحت «إلهام» قائلة: قدماي لا أشعر بهما.

المعركة الأخيرة!

كانت ليلة قاسية ... تلك التي قضاها الشياطين وسط الثلوج ... ومع بداية يوم جديد ... ظهرت كاسحات الثلوج عن بُعد تُخلي الطريق من الثلوج ... فتدفع بها على جانبَي الطريق ... إلى أن وصلت إلى سيارة الشياطين ... وكانت وحدها الباقية على الطريق ... فقامت وسط دهشة الشياطين بردمها بالثلوج ... وفجأة تغير الجو داخل السيارة ... وبعد دفعة ثلج أخرى ألقيت فوق السيارة ... لم يعُد الشياطين يرون حتى أيديهم ... فاضطر «أحمد» لإنارة مصابيح الصالون وقد انتابه قلق بالِغ مما جرى فقد اصطادهم «زائيفي» بطريقة غير شريفة ... وهنا قالت «إلهام»: نحن لا نملك إلا الاتصال برقم «صفر» ليرسل لنا مَن يخرجنا من هنا.

ضحك «عثمان» ساخرًا وهو يقول: وهل ستتركك الثلوج تُتِمِّين اتصالك؟

قالت «ريما» في قلق تسأله: ماذا تقصد؟

عثمان: موجات الصوت سترتد ولن تخرج من بين الثلوج.

أحمد: نحتاج لإريال يخرج إلى الهواء.

إلهام: أرى أنك تفكر في شيء!

أحمد: نعم ... في الآتي ...

كان لدى «أحمد» مُولِّد ليزر صغير متطور ضمن أسلحته الخاصة ... تمكَّن من خلاله من إذابة الثلوج في خط مستقيم فوق السيارة ... فصنع بها فجوة سمحت للضوء بالدخول ... فقام بإعداد قنبلة دخان وفتح سقف السيارة بحذر ... وقبل أن يضعها فوقه قالت له «إلهام»: إن هذه الفجوة هي الطريق الوحيد لدخول الأكسجين إلينا.

فعلَّقَت «ريما» قائلة: أي إن قنبلة الدخان هذه ستمنع عنا الهواء ... وسنموت إما من الدخان أو من قلة الأكسجين.

فكَّر «أحمد» قليلًا ... ثم قام بصنع فجوة أخرى طولية ... ينفذ منها الهواء ... بعيدًا عن الفجوة الأولى ... ثم وضع قنبلة الدخان بها ... ولم يمضِ وقت طويل ... إلا وكانت فرق الإنقاذ تزيح الثلوج من فوق السيارة ومن خلالها قام قائد كاسحة الجليد بربط حبل في شاسيه السيارة ... ثم ربطه من الطرف الآخَر في شاسيه الكاسحة ... وبعدها قام بجرها إلى أن أخرجها إلى الطريق الخالي فانطلق «أحمد» يكمل الرحلة إلى الحدود السويسرية حيث قرية «أنماس» ... وفيلَّا المقر المُعدَّة إعدادًا كاملًا لاستقبالهم دائمًا.

على الطريق رأوا متجرًا يسكن جسم أتوبيس قديم ضخم ... يحوي كل ما يحتاجون إليه حتى الوقود ... فذهبوا إليه ... وحصلوا على أكواب شاي ساخن ... وعادوا إلى سيارتهم وهم مندهشون مما جرى لهم ... فلماذا فعل قائد كاسحة الجليد ذلك ... لماذا أهال الثلوج على السيارة وتركهم يصارعون الموت هل حقًّا كان يقصد؟ ولماذا؟ وهل علم «زائيفي» بوجودهم؟ ... وإذا كان قد علم فما فائدة ما يقوم به رقم «صفر» من تمويه وتضليل في رحلتهم السرية.

أدار «أحمد» سيارته بصعوبة بالغة ... وانطلق يقطع الطريق إلى «أنماس» في سرعة ليعوِّض التأخير الذي تسببت فيه الثلوج ... ولم يلتفت إلى سيارة حمراء كانت تتبعه عن بُعد ... وعند أول منحنى ... اقتربت السيارة منه ... ولكن قائدها حافظ على مسافة دائمة تضمن عدم الاحتكاك بينهما.

وبعد منتصف النهار بقليل ... كانوا يعبرون الحدود ويغادرون الأراضي الفرنسية إلى الأراضي السويسرية وهم مأخوذون بجمال قمة جبال القمة البيضاء ... إن الثلوج تبدو على قمتها وكأنها قبعة ضخمة.

كانت المسافة المتبقية حتى فيلَّا المقر قصيرة للغاية ... لذا ... فقد أخذ الحماس «أحمد» ... فانطلق يقطعها في سرعة عالية ... ووصلها في دقائق.

كم يحبون هذا المقر ... ويحبون العم «شرتز» المسئول عن حديقته! إلا أنهم لم يجدوه ... ووجدوا مَن يفتح لهم الباب بمجرد أن سمع صوت محرك السيارة يتوقف والأبواب تُفتح وتُغلق ... فخرج يستقبلهم ... وحمل عنهم حقائبهم ... فاحتفظوا ببعضها وهو الهام لهم.

وفي داخل المقر ... كانت المدفأة الكلاسيكية التي يعشقها الشياطين ... تمتلئ بالأخشاب المشتعلة ... وبجوارها مائدة مستديرة ... وبعض المقاعد الوثيرة ... وقد استلقى عليها الشياطين في إعياء مما لاقوه على الطريق وأتاهم الرجل يسألهم عن إعداد الطعام فقال له «أحمد» يسأله: من أنت؟!

الرجل: أنا اسمي «هافي» من العاملين في المقر.
أحمد: وأين «شرتز»؟!
الرجل: خرج ولم يعُد.
أحمد: لا أفهم؟!
هافي: أنا لا أعرف غير هذا يا سيدي.
أحمد: أعدَّ لنا الطعام؟

تحيَّرَ «أحمد» لِمَا سمعه عن «شرتز» ... فكيف تقبل المنظمة أن يخرج أحد رجالها ولا يعود ... وفي هذه اللحظة ... تذكر أن لديهم أجهزة محمول حديثة يمكنهم استخدامها كما قال رقم «صفر»، لذا فقد قام بالاتصال به بواسطة جهازه ... فسمع بعض الأصوات الحادة المتقطعة ... وانقطع الاتصال ... وتكرر هذا أكثر من مرة ... فقرر اللجوء إلى ساعته ... وما حدث في منطقة «أنشاص» لساعاتهم أثناء عملية حرب الأقمار، حدث هذه المرة ... فقد وخزتهم ولم تتوقف حتى شعروا بآلام مبرحة فخلعوها ... وعرف «أحمد» أنهم يحاولون التأثير عليهم موجيًّا للتخلُّص منهم ... فقام باصطحاب زملائه ... وخرج والليل في أوله ... وقد ارتدوا بذلات جلدية سوداء يبطنها فراء طبيعي ... وكذلك قبعة الرأس والقفازات ... ولا يحملون من الأسلحة إلا بندقية الليزر ومُولِّد الموجات ... وكانت أحذيتهم مهيَّأة للسير في الجليد ... فقاموا بتسلُّق جبل القمة البيضاء حتى وصلوا إلى منطقة ممهدة للسير فيها ... فساروا يدورون حوله حتى بدَت لهم فيلَّا «سوبتك» عن بُعد ... وقد كان لهم لقاء فيها من قبل ... فأدار «أحمد» مُولِّد الموجات وأطلق لإشاراته العنان فصنعت فيضًا موجيًّا غزيرًا ملأ أجواء المكان وكأنه الدخان انطلق في خلية نحل ... فقد بدأ رجال «سوبتك» يخرجون ليستطلعوا الأمر تباعًا ... فمنهم مَن يفحص أبراج الأطباق ... ومنهم مَن يمسك بجهاز قياس الأشعة.

وأراد «عثمان» أن يطلق شعاع ليزر ليصطاد أقرب الرجال له ... إلا أن «أحمد» حثه على الانتظار ... وشرع يُغير من ذبذبات الموجات التي يطلقها المُولِّد حتى سمعوا صوت انفجار صادر من الفيلَّا ... فهمس قائلًا: إن الدوائر الإلكترونية التي تتحكم في عمل أجهزتهم أصبحت في حالة فوضى وما سمعتموه هو صوت انفجار مجموعة من مكثفات أحد أجهزتهم المهمة وخرج في اللحظة من باب فيلَّتهم «روبوت» بديع الصنع يقود حافلة ذات زلَّاجات ... وعلى هذه الحافلة يجلس رجل يعرفونه من صورته ... إنه «زائيفي» ... والآن ... الآن فقط يمكنهم إنهاء مهمتهم بالقبض على هذا اللواء المارق ... أليس كذلك يا «عثمان»؟!

كان هذا السؤال من «أحمد» إلى «عثمان» الذي أجابه قائلًا: هناك الكثير من الرجال حوله يا «أحمد» ويجب أن تعمل حساب هذا.

أحمد: إنهم ليسوا رجالًا ... إنها روبوتات.

إلهام: وكيف سنتخلص منهم؟

أحمد: هكذا!

أطلق «أحمد» شعاع ليزر خليطًا من الأزرق والأحمر على أحد رجال «زائيفي» الآليين فلم يُغيِّر من الأمر شيئًا ... فبدَّل الأطوال الموجية في مدفعه ... وأعاد التجربة ... فدار الروبوت حول نَفْسه ... وظلَّ يدور في دائرة تتسع وتتسع حتى سقط في هوة في قاعها ماء ... ولم يعُد يبدي حراكًا.

كذلك فعل مع الثاني والثالث ... غير أن «زائيفي» ولسوء حظ «أحمد» قد اكتشف ما يحدث ... وتحوَّل الجبل حول الشياطين إلى جحيم من شتى أنواع الذخائر التي أُطلِقَت عليهم ... ما بين قنابل وأشعة ليزر وطلقات رصاص ... ولم ينقذهم من كل هذا غير أنهم غير واضحين لـ «زائيفي» ولأنه ليس بالرجل السهل ... فقد قام باستدعاء مُولِّد الليزر المداري الذي يدور كأي قمر صناعي في مدار ثابت ... ويستطيع أن يطلق شعاعاته على أي مكان على سطح الكرة الأرضية بأكملها في أي وقت.

إن هذا المُولِّد هو مدفع بعيد المنال ... لا يمكن اصطياده ... وها هو يعلن عن مهارته ... ويطلق أول قذيفة له ... فيدمر ما تبقى من الروبوت الهالك ... الذي سقط في الماء ... إذَن هو يرصد الأجسام المعدنية ... هكذا اكتشف «أحمد» لذا فقد قال لـ «عثمان»: يمكننا تضليل هذا المُولِّد!

عثمان: كيف؟

أحمد: بالحصول على أجسام معدنية كثيرة.

إلهام: وعلينا نحن أولًا أن نتخلص من كل الأجهزة المعدنية والقلائد وغيره.

عثمان: لقد رأيت شعاعًا من أشعة هذا المُولِّد قبل ذلك تُصيب كلبًا.

أحمد: أرأيت ذلك حقًّا؟!

عثمان: نعم.

أحمد: إذَن سأريك ما هو أعجب.

أخرَج «أحمد» من جيبه شريحة صغيرة ... تحوي معالجًا دقيقًا وضعها في غلاف رصاصة ثم وضع الرصاصة في مسدس خاص ثم صوب المسدس على ظهر «زائيفي» ...

وضغط الزناد ... فانطلقت الرصاصة ... أعقبها صرخة من «زائيفي» يتألم ... شرع بعدها في الصراخ ... فيمَن حوله من الرجال في التحرك والقبض على مَن فعل هذا ... ومرة أخرى استدعى المُولِّد المداري، وكان الشياطين يسيرون في مساحة مكشوفة وسقط أول شعاع بجوار قدم «عثمان» الذي تفاداه بمهارة وصاح في «أحمد» قائلًا: سنموت على هذا الجبل ... لماذا أتيت بنا إلى هنا.

وسمعه «زائيفي» ... فرفع رأسه ينظر إليهم في نشوة المنتصر ... كان «زائيفي» لا يعرف أن الرصاصة المستقرة الآن في ظهره ... بها جهاز مُولِّد موجات دقيق ... يمكن التحكم فيه عن بُعد ... وأن موجاته تثير انتباه مُولِّد الليزر ... وقد كان ... فقد أداره «أحمد» عن بُعد بمُوجِّه مَوْجاته ... فشرع هذا المُولِّد يطلق موجاته ... واستدار مُولِّد الليزر المداري ... إلى حيث يوجد هذا المُولِّد الدقيق في هذه الرصاصة القابعة على ظهر «زائيفي» ... وشرع يطلق أشعة ليزر قوية على «زائيفي» فأصابته إصابة قاتلة ... ولم يتوقف المولد عن إرسال الموجات ... وبالتالي لم يتوقف مُولِّد الليزر عن إطلاق أشعته المدمرة التي دمرت مقر «سوبتك» في «أنماس» بكل ما فيه ومَن فيه ... وكان هذا أجمل خبر يرسله «أحمد» للزعيم.

هنداوي